حكم تارك التوحيد

ويليه:

منشأ بدعة من يُسمي (المشرك) مسلمًا

إعداد

د. أيمن بن سعود العنقري

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

بكلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

د. أيمن العنقري: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

المقدم: الشيخ الدكتور/ أيمن العنقري.

د. أيمن العنقري: حياك الله أخي الكريم.

المقدم: الله يجزاك خير.

مجموعة من الشباب ومن الدعاة ومن طلبة العلم، والآن نُجري اتصال مباشر مع الدكتور/ أيمن بن سعود العنقري، الأستاذ في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، حيَّاك الله يا شيخ أيمن.

د. أيمن العنقري: حيَّاكم الله.

المقدم: نحن مجموعة من الشباب من طلبة العلم ومن الدعاة، عندنا سؤال نريد التوجيه من فضيلتكم، والسؤال يتعلق

بقضية (التوحيد)، ما حكم تارك التوحيد؟ فنرجو الإفادة والإجابة والتوضيح والبيان من فضيلتكم، وجزاك الله خيرًا.

د. أيمن العنقري:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين؛ أمَّا بعد:

فإنَّ المراد بتارك التوحيد:

هو الذي وقع في ناقضٍ من نواقض كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» سواءٌ كان هذا الناقض في باب الربوبية؛ كأن يعتقد إلهًا خالقًا مع الله جل وعلا، أو يُنكر وجود الله، أو يعتقد بأنَّ من الأولياء والأئمة مَن يتصرف بالكون، أو القول: بأنَّ الله فوَّض للأولياء والأئمة تدبير أمر العالم كما عليه الرافضة والصوفية.

ومن ذلك: القول بعقيدة (وحدة الوجود)، وهي أنَّ الله والعالَم شيء واحد، فلا يوجد اثنينية، يعني: لا يوجد

خالق ولا مخلوق، ولا رب ولا مربوب، الكل هو الله، الوجود واحد فقط -نعوذ بالله-، هذا كُفر صريح وهو ما عليه غلاة الصوفية.

أو كان ترك التوحيد في باب الألوهية؛ كأن يدعو ويستغيث بالنبي ﷺ، أو بالأولياء في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، كقضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وهداية القلوب، أو يطلب الشفاعة من النبي ﷺ، فيقول: يا رسول الله، اشفع لي عند الله، أو يا رسول الله أغثني، أو يأتي لضريح البدوي أو للدسوقي أو للحسين أو لعلي فيقول: المدد المدد، مدد مدد يا بدوي، مدد مدد يا حُسين، مدد مدد يا دسوقي، مدد مدد يا ميرغني، أو يقول: اشفني من مرضي، أو يتقرب لصاحب القبر بالذبح تعظيمًا له، أو تأتي امرأة لا تحمِل لم يسمونهم أولياء وتطلب منه أنْ تحمل، فتقول: يا سيدي فلان ارزقني ولدًا، أو تنذر للأولياء نذرًا إن جاءها ولدٌ ذكر فلها نذرٌ علىٰ الأولياء أو

علىٰ ضريح السيد الفلاني أن تذبح له كبشًا أو خروفًا لأجل الولد، أو التبرُّك بقبور الأولياء؛ اعتقادًا أنهم يرفعون حوائجهم إلىٰ الله، أو مثلًا يطوف بقبور الأولياء تعظيمًا وتقرُّبًا لهم، فهذا هو المراد هنا بتارك التوحيد.

المقدم: يعني يا شيخ أيمن يُحكَم عليه بكفره؟

د. أيمن العنقري: نعم، تارك التوحيد كما قرَّر أئمة أهل السُّنة وقبل ذلك دلَّت نصوص القرآن والسُّنة علىٰ أنه يُحكَم عليه بعينه أنه مشرك.

والدليل علىٰ ذلك:

قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة البقرة: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فقد دلَّت هذه الآية الكريمة علىٰ وجوب الكفر بالطاغوت؛ حيث قُدِّم علىٰ الإيمان بالله وجُعِل شرطًا لقبول الإيمان، وهو النفي في كلمة التوحيد حيث إنه ينفي كل معبودٍ من دون الله، وهو حقيقة الدين وأساسه، والقائم به هو المستمسك بـ«لا إله إلا الله» حقيقة.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره (١/ ٣١٩) في آية

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾: «أي: مَن خلع الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان مِن عبادة كل ما يُعبَد من دون الله ووحَّد الله، فعبده وحده، وشهِد أن لا إله إلا هو، ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ أي: فقد ثبت في أمره واستقام على الطريقة المثلى والصراط المستقيم».

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله تعالى كما في «الدرر السنية» (١١/ ٢٦٣)، قال: «فدلت الآية على أنه لا يكون مستمسكًا بـ(لا إله إلا الله) إلا إذا كفر بالطاغوت، وهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومَن لم يعتقد هذا فليس بمسلم؛ لأنه لم يتمسك بـ(لا إله إلا الله)».

وقال العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان» (١/ ٢٦١) على هذه الآية، قال: «وأشار إلى أنه لا يؤمن أحد حتى يكفر بالطاغوت، ومفهوم الشرط: أنَّ مَن لم يكفر بالطاغوت، لم يستمسك بالعروة

الوثقىٰ وهو كذلك، ومَن لم يستمسك بالعروة الوثقىٰ فهو بمعزلٍ عن الإيمان؛ لأن الإيمان بالله هو العروة الوثقىٰ، والإيمان بالطاغوت يستحيل اجتماعه مع الإيمان بالله؛ لأن الكفر بالطاغوت شرطٌ في الإيمان بالله أو ركنٌ منه كما هو صريح قوله: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾» اهـ.

إذًا هو يبيِّن أنَّ مَن لم يكفر بالطاغوت ليس بمسلم، ويستحيل أن يجتمع الإيمان بـ(لا إله إلا الله) مع الكفر بالطاغوت.

ومعنىٰ الكفر بالطاغوت كما بيَّن أهل العلم: أن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتُبغضها وتتركها، وتكفِّر أهلَها وتُعاديهم؛ فمَن دعا الأولياء واستغاث بهم وذبح لهم ونذر لهم، لم يُحقِّق الكفر بالطاغوت، وأعظمه ترك عبادة غير الله.

والحكم علىٰ المعيَّن بالكفر أو الإسلام -وهذه مسألةٌ مهمة- مناطُه أصل الإسلام وجودًا وعدمًا؛ فمَن كان عنده أصل الإسلام فهو مسلم، ويشمل ذلك: كل مَن

نطق بالشهادتين وأظهر الإسلام، ولم يظهر منه ما يُضاد ذلك من نواقض الإسلام الصريحة؛ إذ أحكام الدنيا مدارُها علىٰ الظاهر، فمَن أظهر الشِّرك أو الكفر الصريح فالحُكم للظاهر؛ إذ لا يجتمع أصل الإسلام وهو (**التوحيد**) مع ضده من الشِّرك أو الكفر الصريح. هذا مناطٌ مهم نعرف به الحكم علىٰ معيَّنٍ بالكفر أو الإسلام.

أيضًا: مجرد قول: (لا إله إلا الله) لا يمنع من تكفير صاحبها الذي وقع في الشِّرك الأكبر وفي ترك التوحيد.

وهنا كلام جميل للشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالىٰ في شرحه علىٰ كشف الشُّبهات، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلِّقًا علىٰ قول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في جوابه علىٰ شُبهة المشركين الذين يقولون: إن مجرد قول (لا إله إلا الله) يكفي كوْن الشخص مسلمًا حتىٰ لو دعا غير الله واستغاث بغير الله، فقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «فيُقال لهؤلاء المشركين الجهَّال: معلومٌ أن رسول الله قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون:

لا إله إلا الله، وأن أصحاب رسول الله قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويُصلُّون ويدَّعون الإسلام، وكذلك الذين حرَّقهم علي بن أبي طالب النار، وهؤلاء الجهلة مقرون أنَّ مَن أنكر البعث كفر وقُتل ولو قال لا إله الله»-، قال الشيخ محمد بن إبراهيم (ص١٤٠) معلقًا:

«**فدلَّ علىٰ أنَّ مجرد قول:** لا إله إلا الله، لا يمنع من التكفير، بل يقولها ناسٌ كثير ويكونون كفارًا؛ إمَّا لعدم العلم بها أو العمل بها، أو وجود ما ينافيها، لا بد مع النطق بها من أشياء أُخر؛ أكبرها معرفة معناها والعمل به» اهـ.

المقدم: يعني لا يكفي يا شيخ أيمن مجرد القول بـ(لا إله إلا الله)، هذا لا يكفي؟

د. أيمن العنقري: لا يكفي؛ لا بد أن يكون عالمًا بمعناها: لا معبود حقٌّ إلا الله، عاملًا بمقتضاها، وأعظم مقتضاها: ترك عبادة غير الله، وإلا لا فائدة من النطق بها.

يأتي نصراني ويقول: «لا إله إلا الله» لكنه مُصِّر علىٰ التثليث، ما تنفعه (لا إله إلا الله)؛ فلا بد أن يكون عالمًا بمعناها، عاملًا بمقتضاها.

الدليل:

ما ثبت في صحيح مسلم من حديث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**مَن مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله، دخل الجنة**»، قال: «**وهو يعلم**»، نص صريح علىٰ أنه لا بد مِن العلم بمعناها.

من أدلة السُّنة علىٰ وجوب الكفر بالطاغوت: هو ما رواه مسلم في صحيحه، عن أبي مالك الأشجعي، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «سمعت النبي ﷺ يقول: «**مَن قال: لا إله إلا الله، وكَفَر بما يُعبَد من دون الله، حَرُم دمه وماله، وحسابه علىٰ الله**».

الحديث صريح في أن النبي ﷺ علَّق عصمة المال والدم بأمرين:

✓ **الأمر الأول**: قول (لا إله إلا الله) عن علم ويقين، وليس قول مجرد.

ولهذا في حديث أبي هريرة في الصحيحين لَمَّا ذَكَر:
«**ما مِن أحد يقول: لا إله إلا الله إلَّا ويدخل الجنة**» قال: «**غير شاكٍّ بهما**» يعني: عن علم ويقين؛ لأن من شروط (لا إله إلا الله) اليقين المنافي للشك.

✓ **الأمر الثاني**: الكفر بما يُعبد من دون الله، وهو الكفر بالطاغوت.

ولهذا علَّق الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالىٰ علىٰ هذا الحديث في كتابه العظيم النفيس المفيد «كتاب التوحيد»، قال: «فإنه لم يجعل التلفُّظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرُم ماله ودمه حتىٰ يُضيف إلىٰ ذلك: الكفر بما

يُعبَد من دون الله، فإنْ شكَّ أو توقف لم يحرُم ماله ولا دمه، فيا لها من مسألةٍ ما أعظمها وأجلَّها!» اهـ.

فالذي يعبد الميرغني والدسوقي والبدوي والنبي عليه الصلاة والسلام، لم يُحقِّق الكفر بالطاغوت، لم يكفر بما يُعبَد من دون الله، فهذا الحديث يبيِّن أنَّ تارك التوحيد مشركٌ كافرٌ بعينه.

المسألة التي بعدها:

سأُشير إلىٰ شيء من أقوال أئمة أهل السُّنة التي تبيِّن الحكم علىٰ المعيَّن (تارك التوحيد) بأنه مشركٌ كافرٌ بعينه:

يقول الإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح السُّنة» في صفحة ٦٤، قال: «ولا نُخرِج أحدًا من أهل القبلة من الإسلام حتىٰ يرد آيةً من كتاب الله، أو يرد شيئًا من آثار رسول الله ﷺ، أو يذبح لغير الله، أو يُصلي لغير الله، فإذا فعل شيئًا من ذلك فقد وجب عليك أن تُخرجه من الإسلام» اهـ.

المقدم: «فقد وجب عليك أن تُخرجه من الإسلام».

د. أيمن العنقري: «فقد وجب عليك»، يقول: يجب عليك أن تُخرجه من الإسلام، هنا نص صريح من الإمام البربهاري علىٰ وجوب الإخراج من الإسلام لمن صرف نوعًا من أنواع العبادة لغير الله؛ كالذبح والصلاة وغيرها.

النقل الثاني عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ في رسالته «قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام وعبادات أهل الشِّرك» في صفحة ٧٠؛ حيث أكَّد رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ تسمية مَن وقع في الشِّرك الأكبر مُشركًا، وبيَّن أنَّ العذر في حقه إنما هو في أمر العقوبة في الدنيا والآخرة مثل أهل الفترة، وإلَّا هو مُشرك في أحكام الدنيا، يُسمىٰ مشرك وتترتب عليه الأحكام.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «قاعدة عظيمة»: «ومنهم مَن يطلب من الميت ما يطلب من الله، فيقول: اغفر لي، وارزقني، وانصرني، ونحو ذلك، كما يقول المصلي في صلاته لله تعالىٰ إلىٰ أمثال هذه الأمور التي لا يشكُّ مَن عرف دين الإسلام أنها مخالفةٌ لدين المرسلين أجمعين، فإنها من الشِّرك الذي حرَّمه الله ورسوله، بل من الشِّرك الذي قاتل عليه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المشركين».

ثم قال: «وأنَّ أصحابها إنْ كانوا معذورين بالجهل

وأنَّ الحُجة لم تقم عليهم، كما يُعذَر مَن لم يبعث إليه رسول كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [الإسراء: ١٥]، وإلَّا كانوا مستحقين من عقوبة الدنيا والآخرة ما يستحقه أمثالهم من المشركين».

ماذا سمَّاهم؟

المقدم: سمَّاهم مشركين، الكلام واضح.

د. أيمن العنقري: سمَّاهم مشركين، واضح جدًّا، إنما بيَّن أنَّ مَن لم تبلغه الحُجة أو مَن لم تقم عليه الحُجة قد يُعذر في أمر الآخرة؛ كحال أهل الفترة، ألحقهم بأهل الفترة، قال: «كحال مَن لم يُبعث إليه رسول».

أهل الفترة باتفاق أئمة السُّنة أنهم كفارٌ في أحكام الدنيا، وإنما في الآخرة ذكر ابن القيم في «طريق الهجرتين» أقوال كثيرة لأئمة السُّنة، واختار: أنهم يُمتَحنون بالآخرة؛ فمَن أجاب دخل الجنة، ومَن لم يُجب دخل النار.

وقد سُئل الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أهل الفترة: هل يُسمَّون كفارًا أو مُسلمين؟

فأجاب في مجموع فتاواه ورسائله (١/ ٢٤٦-٢٤٧): «كفار لا مسلمين» هكذا، قال: «كفار لا مسلمين؛ أمَّا عذابهم فلا يكون حتىٰ يُبعث لهم رسول» اهـ من مجموع فتاوىٰ ورسائل الشيخ.

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في «دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب» في صفحة ١٣٧، ١٣٨ قال: «اعلم أولًا أنَّ مَن لم يأته نذير في دار الدنيا، وكان كافرًا حتىٰ مات» حكم عليه بماذا؟ بأنه كافر.

المقدم: بأنه كافرٌ.

د. أيمن العنقري: نعم، اللي هو أهل الفترة؛ لأنه يتكلم عن أهل الفترة.

قال: «اعلم أولًا أنَّ مَن لم يأته نذير في دار الدنيا،

وكان كافرًا حتىٰ مات، اختلف العلماء: هل هو من أهل النار لكُفره أو معذور لأنه لم يأته نذير؟».

يتكلم عن ماذا الشيخ الشنقيطي؟ عن العذاب في الآخرة، أمَّا في الدنيا فبالاتفاق أنه كافرٌ مُشرك، إلىٰ أن قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، قال: «قَالَ مُقَيِّدُهُ - عَفَا اللهُ عَنْهُ -: الظَّاهِرُ أَنَّ التَّحْقِيقَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الَّتِي هِيَ: هَلْ يَعْذُرُ الْمُشْرِكُونَ بِالْفَتْرَةِ أَوْ لَا؟ هُوَ أَنَّهُمْ مَعْذُورُونَ بِالْفَتْرَةِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَّ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَمْتَحِنُهُمْ بِنَارٍ يَأْمُرُهُمْ بِاقْتِحَامِهَا، فَمَنِ اقْتَحَمَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ يُصَدِّقُ الرُّسُلَ لَوْ جَاءَتْهُ فِي الدُّنْيَا، وَمَنِ امْتَنَعَ دَخَلَ النَّارَ وَعُذِّبَ فِيهَا، وَهُوَ الَّذِي كَانَ يُكَذِّبُ الرُّسُلَ لَوْ جَاءَتْهُ فِي الدُّنْيَا» اهـ.

فالشاهد: أنه بيَّن أن أهل الفترة كفارٌ ومشركون في الدنيا، وإنما الخلاف في الآخرة هل يدخلون النار أم يُعذرون لأنهم لم يأتهم نذير؟

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله

تعالىٰ كما في مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة، قال: «لكن الغالب علىٰ عُبَّاد القبور هو التقرُّب إلىٰ أهلها بالطواف بها، كما يتقربون إليهم بالذبح لهم والنذر لهم، وكلُّ ذلك شركٌ أكبر، مَن مات عليه مات كافرًا»، حَكَم عليه الشيخ.

المقدم: سبحان الله! مَن مات عليه مات كافرًا.

د. أيمن العنقري: أي نعم، هذا في الجزء الأول صفحة ٤٩ من مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة: «مَن مات عليه مات كافرًا؛ لا يُغسَّل ولا يُصلىٰ عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين».

ثم قال -شوف العالم المدقق الفاهم-: «وأمرُه إلىٰ الله في الآخرة؛ إنْ كان ممن لم تبلغه الدعوة فله حُكم أهل الفترة» في الآخرة إذا ما بلغته الدعوة.

يعني: مِثل واحد مثلًا في أماكن بعيدة لم يسمع بالإسلام، مِثل أماكن بعيدة، لكن هو في حُكم الدنيا هو مشركٌ كافرٌ بعينه، أمَّا في الآخرة فأمره إلىٰ الله، يُمتحن كحال أهل الفترة.

إذًا: كل هذه النقول عن الأئمة تبيِّن أنهم يحكمون علىٰ المعيَّن بأنه كافرٌ مشرك بعينه في أمر الدنيا.

أيضًا من النقول في هذا: قال الشيخان حسين وعبد الله ابنا الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله كما في «الدرر السنية» في (١٠/ ١٤٢)، قال الشيخان حسين وعبد الله: «مَن مات من أهل الشِّرك قبل بلوغ هذه الدعوة، فالذي يُحكم عليه أنه إذا كان معروفًا بفعل الشِّرك ويدين به ومات علىٰ ذلك، فهذا ظاهره أنه مات علىٰ الكفر ولا يُدعىٰ له» -شوف رتبوا أحكام الدنيا عليه، أحكام الدنيا حُكم الظاهر «ولا يُضحىٰ له، ولا يُتصدق عنه، وأما حقيقة أمره فإلىٰ الله تعالىٰ؛ فإن كانت قامت عليه الحُجة في حياته وعاند، فهذا كُفرٌ في الظاهر والباطن، وإن لم تقم عليه الحُجة فأمره إلىٰ الله».

ففي هذا النقل بيَّن الشيخ حسين وعبد الله حُكمين للواقع في الشِّرك:

- **الأول:** حُكم الظاهر، أو حُكمه في نفس الأمر،

وهو أنه كافر، يُعامَل معاملة الكافر بأحكام الدنيا.

◆ **الثاني:** حُكم الظاهر والباطن في حقيقة الأمر عند الله، وهو الكُفر الموجب لعذاب الآخرة، فهذا لا بد من إقامة الحُجة عليه.

ولهذا كلام جميل لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالىٰ في عُبَّاد القبور حينما سألوه: هل يُعذرون؟ فقال الشيخ: «لا، لا يُعذرون»، قال: «لا يُعذر المتلبس بدعاء الأولياء والصالحين»، قال: يُحكم عليه بالشِّرك ويُعلَّم، أَمَا سمعت الله يقول: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤].

و قال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩]»، قال الشيخ: «ما وراء هذا تنديدًا لهم».

➢ وسُئل أيضًا عن الاختلاف في مسألة العذر بالجهل، وهل هي من المسائل الخلافية؟

قال: «الأصل فيها أنه لا يُعذر مَن كان بين المسلمين، لا، ما هي خلافية» -يقول الشيخ- «لا، ما هي خلافية إلا في الدقائق التي قد تخفىٰ» -المسائل الخفية-، هكذا يقول: «لا، ما هي خلافية».

وهذا فيه رد علىٰ المرجئة الجهمية الذين يقولون: المسألة خلافية. لا، ليست خلافية؛ أهل السُّنة قولهم واحد في هذه المسألة، لكنهم هم جهميةٌ مرجئة سموا المشرك مسلمًا فخالفوا النصوص وخالفوا ما عليه اعتقاد أئمة أهل السُّنة.

المقدم: نعم، فيما يبدو لي يا شيخ أيمن في الفترة الأولىٰ التي ذكرتها، أن السائل قال للشيخ ابن باز: جاهل، الشيخ ابن باز قال: «الجاهل يُعلَّم»، قال: هل نحكم عليه بالشرك؟ قال: «يُحكَم عليه ويُعلَّم».

د. أيمن العنقري: أي نعم، قال: «يُحكَم عليه بالشرك ويُعلَّم»، يعني: هل عذره؟

المقدم: **ما عذره.**

د. أيمن العنقري: والشيخ له كلمة جميلة هنا أيضًا في شرحه علىٰ «القواعد الأربع» تبيِّن الحقيقة فقهه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: «أظهر شيءٍ في الوجود: الشِّرك الأكبر»، لَمَّا سأله السائل، قال: يا شيخ، بعض الناس يغالط ويقول: صحيح أن طلب الشفاعة شرك أكبر لكنه من المسائل الخفية، فقال الشيخ: «لا، ما هي بخفية؛ أظهرُ شيءٍ في الوجود الشِّرك الأكبر»، فالعبارة متينة.

المقدم: **الله أكبر! والله هذه كلمة قوية يا شيخ أيمن.**

د. أيمن العنقري: نعم، قال: «أظهر شيء في الوجود: الشِّرك الأكبر»؛ واحد يصلي لغير الله، أو يقول: يا سيد البدوي، اغفر لي، أو ارحمني، أي شيء وراء هذا؟!

فالسائل قال له: إذًا رأيكم أنَّ جاهل التوحيد لا يُعذر بجهله، قال الشيخ» لا يُعذَر، إذا عُلِّم لا يُعذر وكان بين المسلمين».

فقصدي من هذا: عبارته المتينة حينما قال: «أظهر شيءٍ في الوجود: الشِّرك الأكبر» واضح؛ الإسلام، التوحيد، القرآن كله ينص علىٰ هذا.

أيضًا هناك فتوىٰ متينة للجنة الدائمة للإفتاء، البحوث العلمية الإفتاء عندنا في المملكة برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز برقم ٤٤٠٠، الفتوىٰ عن تارك التوحيد، أقرأها عليك، متينة تبيِّن هذا الذي نذكره، قال المشايخ في الفتوىٰ:

«كُل مَن آمن برسالة نبينا محمد ﷺ وسائر ما جاء به في الشريعة، إذا سجد بعد ذلك لغير الله مِن وليٍّ أو صاحب قبر أو شيخ طريقة يعتبر كافرًا مرتدًّا عن الإسلام مشركًا مع الله غيره في العبادة ولو نطق بالشهادتين وقت سجوده؛ لإتيانه بما ينقض قوله مِن سجوده لغير الله».

إذًا: حكموا علىٰ المعيَّن ولَّا ما حكموا؟

المقدم: حَكَموا؛ «**ولو نطق الشهادتين**».

د. أيمن العنقري: «ولو نطق الشهادتين» صريحة، ثم بيَّنوا ما هو العذر؟

قال المشايخ: «لكنه قد يُعذَر لجهله فلا تنزل به العقوبة» -العقوبة، العقوبة، العقوبة، كررتها ثلاث مرات؛ حتىٰ تفهم قضية إقامة حد الرِّدة للاستتابة، لا بد من إقامة الحُجة- «لكنه قد يُعذَر لجهله فلا تنزل به العقوبة حتىٰ يُعلَّم وتُقام عليه الحجة ويُمهَل ثلاثة أيام؛ إعذارًا إليه ليراجع نفسه عسىٰ أن يتوب، فإنْ أَصرَّ علىٰ سجوده لغير الله بعد البيان قُتِل لردته؛ لقول النبي ﷺ: «**مَن بَدَّل دينه فاقتلوه**»».

آمُل أن تُدقق معي، انتبه! الكلام الذي سيأتي متين.

قال المشايخ: «فالبيان وإقامة الحُجة للإعذار إليه قبل إنزال العقوبة به لا ليُسمىٰ كافرًا بعد البيان؛ فإنه يسمىٰ كافرًا بما حدث منه من سجودٍ لغير الله» اهـ.

المقدم: الله أكبر! هذه فتوىٰ واضحة يا شيخ أيمن.

د. أيمن العنقري: متينة جدًّا، طبعًا برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، وعضوية الشيخ عبد الرزاق عفيفي، والشيخ عبد الله بن قعود رحمهم الله تعالىٰ.

الشاهد: أنهم بيَّنوا أنَّ إقامة الحُجة للإعذار إليه حتىٰ إقامة العقوبة، إنزال حد الرِّدة به، أمَّا هو فهو كافر بمجرد سجوده لغير الله ﷻ.

المقدم: فالبيان لإقامة الحُجة لا ليسمىٰ كافرًا بعد البيان.

د. أيمن العنقري: لا ليسمىٰ كافرًا، وإنما للإعذار إليه قبل إنزال العقوبة به، هذا نص الفُتيا.

المقدم: كلام واضح.

د. أيمن العنقري: صريح جدًّا.

أيضًا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «جامع المسائل» (٣/ ١٤٧-١٥١)، سُئل رَحِمَهُ اللَّهُ عن قومٍ يُعظِّمون

المشايخ -يعني مشايخ الصوفية- بكون أنهم يستغيثون بهم في الشدائد ويتورعون إليهم ويزورون قبورهم ويُقبِّلونها ويتبركون بترابها ويوقدون المصابيح طول الليل.. إلىٰ آخر السؤال، فهل يحل لهؤلاء القوم هذا الفعل أم يحرُم عليهم أم يُكرَه؟ أجاب، وانتبه لجواب شيخ الإسلام ابن تيمية.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «جامع المسائل»: «الحمد لله رب العالمين، مَن استغاث بميت أو غائبٍ من البشر بحيث يدعوه في الشدائد، والكربات، ويطلب منه قضاء الحوائج فيقول: يا سيدي فلان أنا في حسبك وجوارك، أو يقول عند هجوم العدو عليه: يا سيدي فلان يستوحيه ويستغيث به، أو يقول ذلك عند مرضه وفقره، وغير ذلك من حاجاته: فإنَّ هذا ضالٌّ جاهل مشرك عاصٍ لله تعالىٰ باتفاق المسلمين».

ماذا سمَّاه؟ جاهل مشرك.

يعني معنىٰ هذا - شوف كيف؟ هذا من دقته رَحِمَهُ ٱللَّهُ - أن الجهل لا يُعذَر به، ليس الجهل اللي الذي هو عدم

التمكُّن من العلم، لا؛ يريد شيخ الإسلام بهذا أنَّ هذا مفرِّط مُعرِض، ومع ذلك سمَّاه جاهلًا مشركًا، وهو يُسأل عن ماذا ابن تيمية؟ ترىٰ يُسأل عن مُعينين، الجواب متجه لمن؟ لهؤلاء القوم، أليس حُكمًا علىٰ معيَّن؟

المقدم: نعم.

د. أيمن العنقري: حُكم علىٰ معيَّن، ثم يأتيك مَن يقول: لا، حُكم عام.

لا ليس صحيح؛ شيخ الإسلام سُئل سؤالًا عن هؤلاء الأقوام أنهم يستغيثون بالمشايخ، وما إلىٰ ذلك، قال: «فإنَّ هذا ضالٌّ جاهل مشرك عاصٍ لله تعالىٰ باتفاق المسلمين» إلىٰ أن قال -الآن شوف سمَّاه مشركًا جاهلًا- في آخر الفُتيا: «إذا قامت علىٰ الإنسان الحُجة فيه ولم ينتهِ، وَجَبَ قتله كقتل أمثاله من المشركين، ولم يُدفن في مقابر المسلمين، ولم يصلَّ عليه، وأمَّا إذا كان جاهلًا لم يبلغه العلم، فإنه لا يُحكم بكفره».

هنا ماذا يتكلم؟ عن الكفر الباطن، مراده: الكفر المترتب عليه الحُكم بِردته وقتله، وإلَّا فهو مشرك في نفس الأمر؛ بدليل إن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال في أول جواب الفُتيا: «فإنَّ هذا ضالٌّ جاهل مشرك عاصٍ لله تعالىٰ باتفاق المسلمين» فسمَّاه ماذا؟ فسمَّاه جاهلًا مشركًا.

وهذا النقل عن شيخ الإسلام والذي قبله في رسالة «قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات الإسلام وعبادات أهل الشِّرك والنفاق» يبيِّن أنه يحكُم علىٰ المعيَّن تارك التوحيد بأنه مشرك بعينه، لا كما يكذب عليه غلاة المرجئة المعاصرة الجهمية الذين يفترون علىٰ شيخ الإسلام ويقولون: «إنه لا يحكم علىٰ المعيَّن التارك للتوحيد بالشِّرك»، هذان نقلان وإلَّا هناك نقول أخرىٰ لكني اكتفيت بهذين النقلين عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ.

إذًا: نقول بعد ذلك مُبيِّنين -وهذه مسألة أخرىٰ، مسألة مهمة تابعة لِما نتكلم عنه-: **ما مناط العذر بالجهل؟**

نقول: العذر بالجهل في أحكام الآخرة مناطه الجهل بمسائل الدين الذي لا يستطيع المعيَّن رفعه عن نفسه، كحال أهل الفترة الذين لا يستطيعون الانفكاك مما هم فيه من الضلال؛ لعدم بلوغ الرسالة إليهم، قال تعالىٰ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢﴾ [البينة: ١-٢].

فَذَكَرَ جل وعلا المشركين من أهل الفترة الذين لا يستطيعون الانفكاك عما هم فيه من الضلال؛ لعدم بعثة النبي ﷺ فيهم ووصول الكتاب إليهم، فهم معذورون في عذاب الآخرة، وإلَّا فهم كُفَّار في أحكام الدنيا. ويُلحق بأهل الفترة -كما ذكرنا-: مَن وقع في المكفرات الصريحة المنافية لأصل الإسلام؛ كعُبَّاد القبور، يسمون مشركين.

ولهذا الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ له كلام جميل في «طريق الهجرتين»، قال: «والإسلام: هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، والإيمان برسوله، واتباعه فيما جاء به»، ثم قال

ابن القيم: «وما لم يأتِ العبد بهذا فليس بمسلم، وإن لم يكن كافرًا معاندًا فهو كافرٌ جاهل» أليس نصًّا صريحًا؟

المقدم: واضح.

د. أيمن العنقري: قال: كافر ماذا؟ كافر جاهل، هذا نص صريح من ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يعني: ذكر أنَّ مِن أصناف الكفار الجهال المقلدة لأهل العِناد، ليس كُفر الكفار كله عن عناد.

- الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ له عبارة متينة - سبحان الله! مشايخنا وأئمة الدعوة مدققون في هذه المسائل-، الشيخ محمد بن إبراهيم في فتاويه يقول: «ليس كُفر الكفار كله عن عِناد».

ليس كله عن عِناد؛ هناك كُفر إعراض، هناك كُفر إباء واستكبار، هناك كُفر الشك، يعني: ليس كله عن عِناد اللي يقوله غلاة المرجئة المعاصرين: إنك لا بد أن تجيب المشرك وتُقيم عليه الحُجة وتزول عنه الشُّبهة ويفهم

ويُعاند ويُصر علىٰ ما هو عليه. هذا غير صحيح، هذا صنف واحد من أصناف الكفار.

ولهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصارم المسلول» يقول: «لا يقصد الكُفر أحدٌ إلا ما شاء الله».

اللي هو قصْد الكفر، ما فيه أحد، يعني: يندر جدًّا أن يقصد شخص الكفر، وإنما كفر غالب أهل الأمم، شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بيَّن أنَّ كُفر غالب أهل الأمم إنما هو بالإعراض، وليس بالعِناد، له كلام رحمه الله تعالىٰ في هذا الباب يبيِّن أن غالب كُفر الكفار ليس عن تثبيت أو عن جُحود أو عن عِناد، لا، هذا غير صحيح، هذا ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الإيمان الكبير».

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإيمان الكبير» في صفحة ٤٠٨ - لَمَّا ناقش المرجئة الذين يقولون: «إنَّ كل مَن حَكَم الشارع عليهم بأنهم كُفار؛ فإنما ذلك لأنه لم يكن في قلوبهم شيء من التصديق والعلم»، قال شيخ الإسلام ردًّا عليهم-:

«وهذا أمرٌ خالفوا به الحِس والعقل والشرع وما أجمع عليه طوائف بني آدم السليمي الفطرة وجماهير النُّظار، فإن الإنسان قد يعرف أنَّ الحق مع غيره ومع ذلك يجحد ذلك» -لماذا؟- «لحسده إيَّاه، أو لطلب علوه عليه، أو لهوىٰ النفس، ويحمله ذلك الهوىٰ علىٰ أن يعتدي عليه ويردُّ ما يقول بكل طريق وهو في قلبه يعلم أن الحق معه، وعامة مَن كذَّب الرسل علِموا أن الحق معهم، وأنهم صادقون، لكن إمَّا لحَسَدِهم، وإمَّا لإرادتهم العلو والرئاسة، وإمَّا لحُبهم دينهم الذي كانوا عليه، وما يحصُل لهم به من الأغراض؛ كأموالٍ ورياسةٍ وصداقة أقوام، وغير ذلك، فيرون في اتباع الرسل ترك الأهواء المحبوبة إليهم، أو حصول أمورٍ مكروهةٍ إليهم، فيُكذِّبونه ويُعادونه، فيكونون من أكْفَر الناس كإبليس وفرعون مع عِلْمِهم بأنهم علىٰ الباطل والرسل علىٰ الحق» اهـ.

كلام متين نفيس.

المقدم: هذا كلام قيِّم يا شيخ أيمن.

د. أيمن العنقري: هذا كلامه في الإيمان الكبير يبيِّن عدم صحة نسبة كفر الكفار كله عن عِناد وتكذيب، وأنه لا بد أن يُعاند؛ ولهذا كما ذكرت لك كلام شيخ الإسلام في «الصارم المسلول» قال: « لا يقصد الكُفر أحد إلَّا ما شاء الله».

إذًا: يتبيَّن لنا أنَّ المعيَّن التارك للتوحيد يُحكَم عليه بعينه في أحكام الدنيا كُفر الظاهر، ويُسمىٰ مشركًا كافرًا، وإذا أُقيمت عليه الحُجة وأصر يقال عنه كافر في حُكم الظاهر والباطن، وإقامة الحُجة إنما هو لأجل العذاب والعقوبة وليس لأجل أن يُسمىٰ مُشركًا؛ فإنه يُسمىٰ مشركًا بمجرد وقوعه في الشِّرك الأكبر.

إذًا الحُجة القاطعة للعُذر تقوم علىٰ المعيَّن بأمرين:

الأول: مَن تبيَّن له الحق وعرفه وعاند واختار الضلال كما في آية سورة النساء: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥]، هذا الصِّنف قليل، عاند، هذا صنف من أصناف الكفار، لا يُحصر الكفار كلهم في هذا الصِّنف.

الثاني: مَن بلغه العلم وتمكَّن من العلم ولو كان جاهلًا؛ إذ إنَّ جهله إنما هو بسبب إعراضه عما جاءه من الحق، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾[الأنعام: ١٩]، وهو ما عليه عامة المشركين اليوم ممن يدعو الأولياء ويستغيثون بهم ويذبحون لهم وينذرون لهم.

المسألة الأخيرة معي هنا في مسألة فَهْم الحُجة:

غلاة المرجئة الجهمية المعاصرون يقولون: لا بد أن

يفهم الحُجة وتُزال عنه الشُّبهة.

نقول في تحقيق هذا المقام: **فَهْم الحُجة نوعان:**

✓ **النوع الأول:** فَهْم لسان.

هذا لابد منه في بلوغ الحُجة (فَهْم اللسان)؛ لأن الله قال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ [إبراهيم: ٤]، فالله جعل هذا القرآن عربيًّا لتقوم الحُجة به علىٰ مَن يفقه اللسان العربي.

يعني مثلًا: إذا أتاك رجل يتكلم بغير العربية، أوردو، من الباكستان مثلًا، فلا بد أن تأتيه بالحُجة الرسالية بلغته هو.

المقدم: باللغة التي يفهمها.

د. أيمن العنقري: التي يفهمها، هذا لا بد منه فَهْم اللسان، الآية واضحة في هذا.

✓ **النوع الثاني اللي ما يُشترط:** فَهْم الاحتجاج.

بأنْ يفهم أنَّ هذه الحُجة التي أوردتها عليه في الكتاب والسُّنة (حُجة التوحيد) أرجح وأقوىٰ من الشُّبهات التي في رأسه في تجويز دعاء الأولياء والاستغاثة بهم، هذا ما يُشترط.

المقدم: يعني ما يُشترط يا شيخ أيمن فَهْم الحَجة؟

د. أيمن العنقري: فَهْم الاحتجاج وليس فَهْم اللسان، هذا لا يُشترط، لماذا؟ لأن الله بيَّن لنا وأخبر أن المشركين لم يفقهوا الحُجة.

المقدم: ﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا﴾[الأعراف: ١٧٩].

د. أيمن العنقري: ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ﴾ [الإسراء: ٤٦]، وقال جل وعلا: ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ﴾ [الفرقان: ٤٤] فهم لا يسمعون سَمْع فائدة.

المقدم: نعم، ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ﴾[البقرة: ١٧١].

د. أيمن العنقري: أي نعم، حتىٰ إذا تأمَّلت

النصوص في القرآن تجد أبدًا أنهم يستمعون فقط، يُنصتون، ومع ذلك نفىٰ الله عنهم السمع بقوله: ﴿وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾ [الكهف: ١٠١]، فإذًا هم سمعوا سَمْع لسان لكن لم يسمعوا الحجة سَمْع قلب وسَمْع فَهْمٍ للحجة، يعني: أنها راجحة، لم يفهموا الحُجة لكنهم فَهِموها فَهْم لسان، ومع ذلك لم يعذرهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فدلَّ هذا علىٰ أنَّ الكفار أنواع:

- منهم مَن كُفره كُفر عِناد.
- ومنهم مَن كُفره كُفر تقليد؛ ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الزخرف: ٢٢].
- ومنهم مَن كُفره كُفر إعراض، مُعرِض عن الحق؛ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنبياء: ٢٤].

المقدم: يعني الغالبية وقعوا في هذا النوع من الكفر (الإعراض)؟

د. أيمن العنقري: أي نعم، كُفر الإعراض، وهؤلاء المشركون المعاصرون عُبَّاد الأضرحة والأولياء هم مُعرضون ولا يُقال عنهم: جُهَّال، هؤلاء مُعرضون.

وإذا اشتُرط فَهْم الحُجة فمعنىٰ ذلك أننا نحصر الكفر في المعاند ونُخالف النصوص والإجماع؛ ولهذا غلاة المرجئة المعاصرين الآن حصروا الكُفر في العناد.

يعني بعبارة واضحة، واحد يقول: ترىٰ أنا بكفُر، خلوني، تراي أنا بستغيث بالدسوقي والميرغني والبدوي وعبد القادر الجيلاني، وغيرهم، ولا عليكم منِّي. هذا الصِّنف قليل، ليس بالأكثر، لا شك هذا نوع من أنواع الكفر، لكن الأنواع كثيرة كما ذكرتها لكم.

سُئل الشيخ محمد بن إبراهيم: بعضهم يقول: إن كان مراده كذا فهو يكفر؟

فأجاب: «مراد هؤلاء أنه لا يكفر إلا المعانِد فقط، وهذا من أعظم الغلط؛ فإنَّ أقسام المرتدين معروفة، منهم مَن رِدته

عن عِناد، وبعضهم لا. وفي القرآن يقول: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف: ٣٠] حِسبانهم أنهم علىٰ شيء لا ينفعهم» اهـ. من مجموع فتاوىٰ ورسائل الشيخ (١٢/ ١٩١).

فهذه خلاصة موجزة عن الحُكم علىٰ المعيَّن التارك للتوحيد بالأدلة من القرآن والسُّنة، وذِكر ما تيسر لي جمعه من كلام أئمة أهل السُّنة المُحققين.

المقدم: جزاك الله خيرًا يا شيخ أيمن، وبارك الله في عِلمك وفي عُمرك وفي ذريتك، جزاك الله خير علىٰ هذا التوضيح والبيان الطيب، وعلىٰ هذه الحُجج والبراهين، وعلىٰ هذا التأصيل، صراحةً هذا تأصيل عِلمي، جزاك الله خير يا شيخ أيمن؛ بيَّنت لنا من خلال هذا التأصيل أنَّ تارك التوحيد يُحكَم بكفره عينًا، فجزاك الله خير.

ولعل -إن شاء الله- في أقل من دقيقة توجِّه رسالة لهؤلاء الشباب الدعاة، عندنا في السودان من الدعاة ومن طلبة العلم هنالك مَن يَتَّهمهم؛ بأنهم خوارج، وبأنهم

حَدَّادِية، وبأنهم يُكفِّرون الناس، بماذا تنصح الشباب والدعاة في السودان؟

د. أيمن العنقري:

✍ **أنصحهم بالثبات علىٰ التوحيد والسُّنة** ولا يضرهم كلام أهل الأهواء والبدع؛ فهذه سبق أن اتَّهم أئمة أهل البدع والضلال أئمة السُّنة، سمَّموا أهل السُّنة مُشَّبهة، مُجسِّمة، حشوية، إلىٰ غير ذلك، فهذه الألقاب الشنيعة تبيِّن أنهم علىٰ باطل، ولا يستطيعون مُقارعة الحُجة بالحُجة، هذا من التنابذ بالألقاب لا يهتموا به فيُعرضوا عنه، يُعرضوا عن هذه الألقاب، يُعرضوا عن هذه الترَّهات وعن هذه الألقاب التي ما أنزل الله بها من سلطان.

✍ **وأنْ يثبتوا علىٰ ما هم عليه** من تكفير المشرك؛ لأن هذا القرآن والسُّنة وكلام أئمة أهل السُّنة المحققين.

✍ **وأن يستزيدوا من قراءة وتدبُر وتأمُل الآيات** القرآنية ونصوص السُّنة مع كلام أهل العلم المحققين،

تفاسير أئمة أهل السُّنة يعتنون بها، يقرؤونها، ينظر في تفاسير أئمة أهل السُّنة؛ كتفسير ابن جرير، وابن كثير، والبغوي، في هذه الآيات التي تكفِّر المشركين.

كقوله جل وعلا: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧] سمَّاهم كفار ﷻ.

المقدم: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٤].

د. أيمن العنقري: ﴿بِشِرْكِكُمْ﴾، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٦-٧].

فالآيات في هذا كثيرة؛ منها: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦] أي: المشركين.

أيضًا قراءة كتب أئمة أهل السُّنة المتقدمين؛ كالإمام أحمد، وغيره من أئمة أهل السُّنة واعتقاد أئمة أهل السُّنة الذي أورده الإمام اللالكائي في شرح «أصول اعتقاد أهل السُّنة». أيضًا المرور على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن رجب، وابن كثيرة، وغيرهم، إلى زمننا هذا.

أنا أُوصي بكتب ومؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة النجدية السلفية؛ ففيها خيرٌ عظيم، وتوضيح لمثل هذه المسائل، إضافةً لِمَا عليه فتاوى اللجنة الدائمة برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى، وأيضًا مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم، وغيرهم من أئمة أهل السُّنة في هذا العصر.

أقول: إنَّ المشرك إمَّا أن يكون مُعرضًا مفرطًا، فهذا لا يسمى بالجاهل.

يعني هنا عندنا مسألة مهمة وهي ما يُثيره الآن غلاة

المرجئة المعاصرين، هؤلاء جهمية، يقولون: إنَّ الإنسان معذورٌ بجهله.

نقول: أهل السُّنة يقولون: هناك جهلٌ سببه: عدم وجود مَن ينبه بالحق، وهناك جهل سببه الإعراض، الجهل الذي سببه الإعراض مثلًا مع عدم وجود مَن يُنبه، هذا لا يُعذر به العبد، وأمَّا الجهل الذي يكون لأجل عدم وجود مَن يُنبه، فإنه يُعذر به حُكمًا في الآخرة ولا يُعذر به في أحكام الدنيا، هو يُسمىٰ مشرك في أحكام الدنيا.

وأيضًا من الأمور التي ينبغي التنبُه لها في هذه المسألة، وهذه ذكرها أهل العلم وهي: أنَّ الحُجة تقوم علىٰ المعيَّن ببلوغها إيَّاه وتأهُّله للفَهْم دون فَهِمِها فَهْم الاحتجاج.

يعني: الآن هؤلاء يسمعون القرآن، ويقرؤون القرآن، وبَلَغَتهم الآيات القرآنية التي تُحذِّر من الشرك الأكبر، لكن هم مُعرضون عنها.

الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «لَوْ عُذِرَ الْجَاهِلُ لِأَجْلِ جَهْلِهِ، لَكَانَ الْجَهْلُ خَيْرًا مِنْ الْعِلْم؛ إِذْ كَانَ يَحُطُّ عَنْ الْعَبْدِ أَعْبَاءَ التَّكْلِيفِ، وَيُرِيحُ قَلْبَهُ مِنْ ضُرُوبِ التَّعْنِيفِ، فَلَا حُجَّةَ لِلْعَبْدِ فِي جَهْلِهِ بِالْحُكْمِ بَعْدَ التَّبْلِيغِ وَالتَّمْكِينِ، لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ».

هذا النص عن الإمام الشافعي أورده عنه الزركشي في كتابه «المنثور في القواعد».

ونستفيد من كلامه:

أنه بيَّن أن المناط في موضوع الجهل، الجهل مع عدم القدرة علىٰ العلم، ما يقدر، مثل مَن؟ مثل حال أهل الفترة، حال أهل الفترة الذين كانوا بين زمان رسالتين، هؤلاء ليس عندهم قدرة علىٰ العلم، ومِثلهم أيضًا -مِثل هؤلاء في موضوع ما يسمىٰ العذر بالجهل-: الأربعة الذين يُدْلُون علىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالحُجة.

في حديث الأسود بن سريع الذي رواه الإمام أحمد في مسنده، أنه ﷺ قال: «**أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصَمُّ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرِمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ: فَأَمَّا الْأَصَمُّ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونِي بِالْبَعْرِ، وَأَمَّا الْهَرِمُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ فَيَقُولُ: رَبِّ، مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ**» الحديث.

فهذا الحديث بيَّن النبي ﷺ عُذرهم، وعلة عُذرهم هي عدم القدرة علىٰ الفَهْم؛ إمَّا لعدم بلوغ العلم كالذي عاش في فترة، أو لعدم القدرة لفَقْد آلية الفَهْم كالأصم والهرِم والمجنون.

لماذا عُذِروا هؤلاء؟

هؤلاء عُذِروا في مسائل الاعتقاد أو مسائل الدين؛ لأنهم جَهِلوا هذه المسائل الجهل الذي لا يستطيع المعيَّن رفعه عن

نفسه، ما يستطيعون، مثل حال أهل الفترة لا يستطيعون الانفكاك مما هم فيه من الضلال، ما بَلَغتهم رسالة، كما قال جل وعلا: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢﴾ [البينة: ٢]، ومع ذلك: فأهل الفترة بإجماع أهل السُّنة كُفارٌ في أحكام الدنيا.

سُئل الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن أهل الفترة:

هل يُسمَّون كفارًا أو مسلمين؟

فأجاب: «كفار لا مسلمين»، ثم قال: «أمَّا عذابهم فلا يكون حتىٰ يُبعث لهم رسول» اهـ. من مجموع فتاوىٰ الشيخ.

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في «دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب»: اعلم أولًا أنَّ مَن لم يأته نذيرٌ في دار الدنيا وكان كافرًا حتىٰ مات» -شوف سمَّاه كافرًا- «اختلف العلماء: هل هو من أهل النار لكُفره، أو هو معذورٌ لأنه لم يأته نذير»... إلىٰ أن قال الشيخ محمد

الأمين الشنقيطي: «قَالَ مُقَيِّدُهُ -عَفَا اللهُ عَنْهُ-: الظَّاهِرُ أَنَّ التَّحْقِيقَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الَّتِي هِيَ: هَلْ يَعْذُرُ الْمُشْرِكُونَ بِالْفَتْرَةِ أَوْ لَا؟ هُوَ أَنَّهُمْ مَعْذُورُونَ بِالْفَتْرَةِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَّ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَمْتَحِنُهُمْ بِنَارٍ يَأْمُرُهُمْ بِاقْتِحَامِهَا، فَمَنِ اقْتَحَمَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ يُصَدِّقُ الرُّسُلَ لَوْ جَاءَتْهُ فِي الدُّنْيَا، وَمَنِ امْتَنَعَ دَخَلَ النَّارَ وَعُذِّبَ فِيهَا».

والشاهد من كلامه: أنه بيَّن أنَّ أهل الفترة كفار ومشركون في الدنيا، وإنما الخلاف في الآخرة هل يدخلون النار أم يُعذرون؛ لأنه لم يأتهم نذير؟

وأمَّا هؤلاء المشركون الذين يستغيثون بغير الله، ويدعون غير الله، وينذرون لغير الله، ويذبحون لغير الله، فهم مشركون ويُحكَم عليهم بأعيانهم بأحكام الدنيا، كُفر الظاهر، سمَّاه العلماء (كُفر الظاهر)، فإذا ماتوا لا يُصلَّىٰ عليهم، ولا يُترحم عليهم، ولا يُستغفر لهم، ولا يُتصدق عنهم، ولو كان هذا إمام يُصلي بالناس في المسجد من الصوفية القبورية؛

كالبريلوية أو الشاذلية، يستغيث بالأموات ويدعو غير الله، لا يُصلىٰ خلفه؛ لأن الصلاة لا تصحُّ خلف المشرك.

وهنا أنقل كلامًا متينًا لسماحة الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله تعالىٰ في ذلك:

فقد سُئل رَحِمَهُ اللَّهُ في فتاوىٰ «نور علىٰ الدرب»: ما مصير المسلم الذي يصوم ويصلي ويزكي، لكنه يعتقد بالأولياء الاعتقاد الذي يسمونه في بعض الدول الإسلامية اعتقادًا جيدًا أنهم يضرون وينفعون، كما أنه يقوم بدعاء هذا الولي فيقول: يا فلان لك كذا وكذا إذا شُفِي ابني أو بنتي، أو بالله يا فلان، فما حكم مثل هذه الأقوال؟

أجاب الشيخ محمد -وهذا من دقته، اعترض علىٰ سؤال السائل- قال:

«تسمية هذا الرجل الذي ينذر للقبور والأولياء ويدعوهم، تسميته مسلمًا جهلٌ من المُسمِّي، ففي الحقيقة هذا ليس بمسلم لأنه مُشرك».

المقدم: هذه الفتوىٰ للشيخ العثيمين؟

د. أيمن العنقري: أي نعم، هذه فتوىٰ للشيخ العثيمين في فتاوىٰ «نور علىٰ الدرب» (١/ ٤٣١) صريحة، اعترض علىٰ سؤال السائل لتسميته عُبَّاد الأضرحة والأولياء مسلمين، قال: «هذا جهلٌ من المسمِّي»، اعترض عليه في التسمية.

وهناك كلامٌ له آخر في تفسير سورة المائدة في (١/ ٤٠٣)، قال الشيخ ابن عثيمين مؤكِّدًا علىٰ كفر تارك التوحيد بعينه: «كما أننا لو رأينا رجلًا كافرًا، فإننا نُعامله معاملة الكافر، ولا نقول: إننا لا نكفِّره بعينه كما اشتبه علىٰ بعض الطلبة الآن، يقولون: إذا رأيت الذي لا يُصلي لا تُكفِّره بعينه. كيف لا أُكفِّره بعينه؟!» الشيخ يستنكر، يستغرب: «كيف لا أُكفِّره بعينه؟!».

ثم قال الشيخ محمد: «إذا رأيت الذي يسجد للصنم لا تُكفِّره بعينه؛ لأنه ربما يكون قلبه مطمئنًا بالإيمان!».

ثم قال الشيخ مبيِّنًا غلط هذا الكلام، قال: «هذا غلطٌ عظيم؛ نحن نحكم بالظاهر، فإذا وجدنا شخصًا لا يُصلي

قلنا: هذا كافر بملء أفواهنا، إذا رأينا مَن يسجد للصنم قلنا: هذا كافر، ونُعيِّنه ونُلزمه بأحكام الإسلام» شوف هذا الكُفر في الظاهر في أحكام الدنيا.

ثم قال الشيخ محمد: «أمَّا في الآخرة» - في العذاب في الآخرة- «فلا نشهد لأحدٍ معيَّن لا بجنةٍ ولا نار إلَّا مَن شهد له النبي ﷺ أو جاء ذلك في القرآن».

كلام متين نفيس وبيِّن قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالىٰ في سورة المائدة (١/ ٤٠٣-٤٠٤): ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ ﴾[المائدة: ٤١] الآية.

أيضًا هنا نقل نفيس جدًّا لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذِكر التفريق بين التكفير في أحكام الدنيا والآخرة، له كلام متين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح العمدة» (٢/ ٩٢،٩٣): «الكفر

علىٰ قسمين: قسمٌ تنبني عليه أحكام الدنيا» شوف الآن يتكلم علىٰ الكفر الظاهر بأحكام الدنيا، قال: «قسمٌ تنبني عليه أحكام الدنيا من تحريم المناكح» -الزواج؛ ما يُتزوج من المشرك الذي يدعو الأولياء- «والذبائح» -ما تؤكل ذبيحته- «ومنع التوارث» -لا يرثه أقاربه- «والعقل وحِل الدم والمال وغير ذلك، فهذا إنما يثبت إذا ظهر لنا كُفره؛ إمَّا بقول يوجب الكفر أو عمل مثل: السجود للصنم».

إذًا: ابن تيمية يحكم علىٰ المعيَّن الساجد للصنم بأنه مشركٌ كافر بأحكام الدنيا، وذَكَر الأحكام المترتبة علىٰ ذلك: تحريم المناكح، الذبائح، منع التوارث، العقل، حِل الدم والمال، إلىٰ غير ذلك.

فقال: «والثاني: ما يتعلق أحكام الآخرة، والانحياز عن أُمة محمد».

طبعًا هو سياق كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قاله في آية الصلاة، الممتنع

عن أداء الصلاة، اللي ما ينوي أن يصلي أبدًا، وذَكَر ضمن ثنايا الكلام: الساجد للصنم. فدلَّ هذا علىٰ أنه يحكم علىٰ المعيَّن بأنه مشرك الشرك الأكبر، لا كما يكذب المرجئة المعاصرون بل الجهمية المعاصرة في دعواهم أن شيخ الإسلام ابن تيمية لا يُسمِّي المشرك كافرًا في أحكام الدنيا.

المقدم: نعم، وكذلك أيضًا نسبوا للشيخ العثيمين، وجزاك الله خير أنك وضحت يا دكتور أيمن أن الشيخ العثيمين -في فتوتين الآن ذكرت لنا- أنه يكفِّر المعيَّن.

د. أيمن العنقري: يُكفِّر المعين المشرك، بل له عدة فتاوىٰ، أنا الحقيقة اقتصرت علىٰ هذين النقلين وإلَّا له كلام كثير.

سأُورد أيضًا نقلًا ثالثًا للتأكيد علىٰ أنَّ فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين رحمة الله عليه يحكم علىٰ المعيَّن ويسميه مشركًا.

فقد سُئل رحمه الله تعالىٰ في فتاوىٰ «نور علىٰ الدرب» (١/ ٤١٩) عن إمام مسجد يقول في بعض الأذكار: مدد مدد يا سيدي يا رسول الله، مدد يا عبد القادر الجيلاني.

أجاب الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ -اسمع لجوابه-، قال:

«حقيقةً أنَّ ما ذكره السائل يُحزن جدًّا؛ فإنَّ هذا الإمام الذي وصفه بأنه يُحافظ علىٰ الصلاة، ويحافظ علىٰ الصيام، ويصوم يومًا ويُفطر يومًا، وإنَّ ظاهر حاله الاستقامة، قد لَعِب به الشطان وجعله يخرج من الإسلام بالشِّرك وهو يعلم أو لا يعلم، فدعاؤه غير الله شركٌ أكبر مُخرجٌ من الملة، سواءٌ دعا الرسول أم دعا غيره».

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آخر الفُتيا: «أنَّه لا تصح الصلاة خلفه».

يعني: ما يُصلىٰ خلفه، رتَّب عليه الحُكم في الدنيا وهو أنه لا تصح الصلاة خلفه؛ لأنه مُشرك، قال هكذا: «لَعِب به الشيطان وجعله يخرج من الإسلام بالشِّرك وهو

يعلم أو لا يعلم».

أيضًا فتوىٰ أو نقل رابع:

سُئل الشيخ محمد بن عثيمين: عن الصلاة خلف إمام من طائفة البريلوية الذين يعتقدون أن النبي ﷺ حي حاضر ناظر. البريلوية: هؤلاء فرقة من غلاة الصوفية القبورية في شبه القارة الهندية، أسسها أحمد رضا بريلوي.

طبعًا هم يعبدون الأولياء والصالحين، أحمد رضا بريلوي يقول: «إنَّ الرسول هو دافع البلاء ومانح العطاء» -نعوذ بالله من هذا الشِّرك-، ويقول أحمد رضا بريلوي: «إنَّ لأهل الدين مغيثًا هو عبد القادر الجيلاني».

مِن أخص عقائد البريلوية: عقيدة عندهم مشهورة أنَّ النبي حاضر ناظر، ما معناها؟

أنَّ الرسول حاضر يعني: في كل مكان يحضر، ناظر لكل شيء، فلا يخلو مكان ولا زمان إلَّا والرسول موجود في كل مكان، وأنَّه يعلم أحوال الموجودات والمخلوقات،

لا تخفىٰ عليه خافية -نعوذ بالله من هذا الشِّرك-، فاقوا كفار قريش؛ أبو جهل أحسن منهم حالًا.

يقول البريلوي: «نبي الله حاضر وناظر، ولم يحدث شيء في العالم ولا يحدث إلَّا ويراه ويشاهده، فهو حاضرٌ في كل مكان، وناظر كل شيء».

يعني: عقيدة القوم أنهم مشركون في الربوبية والألوهية.

- سُئل الشيخ محمد رحمه الله تعالىٰ عن الصلاة خلف إمام من طائفة البريلوية، فقال: «إذا كانوا يعتقدون ذلك فقد خالفوا الإجماع، أو كانوا يستغيثون به فهو شرك»، ثم قال مُرتبًا الحكم علىٰ هذا الإمام: «فهو شركٌ لا تجوز الصلاة خلفهم».

نص صريح واضح، أليس كذلك؟ واضح جدًّا، هذه أربعة نقول نقلتها عن فضيلة الشيخ العالِم محمد بن عثيمين تبيِّن أنه كغيره من علماء السُّنة علىٰ هذا الأصل العظيم: وهو الحكم علىٰ تارك التوحيد بأنه مُشرك الشِّرك

الأكبر المُخرج من دائرة الإسلام.

أيضًا من المسائل المتعلقة مسألة مهمة، وهي: منشأ بدعة عُذر الجاهل في الشِّرك الأكبر، وعدم تسميته مُشركًا.

أول بدعة ظهرت في ذلك: هي بدعة الجاحظ وعُبيد الله العنبري من المعتزلة؛ حيث ادَّعيا هؤلاء المعتزلة الضُّلال إطلاق العذر بالجهل، والزعم أن الحُجة لا تقوم إلا علىٰ مَن عاند الحق وقصد الضلال. المعاند فقط، عندهم أنَّ الحُجة ما تقوم إلا علىٰ المعاند، أمَّا المُعرض فعندهم لو فعل كل المكفرات هو معذور.

ورتَّبا علىٰ ذلك -الجاحظ وعُبيد الله العنبري من المعتزلة-: أن وجود الجهل والاجتهاد والشُّبهة مانع من قيام الحُجة، وأنَّ غير المعاند لا يؤثَّم بل قد يؤْجَر -نعوذ بالله-.

فعندهم مثلًا: مَن قال بالتثليث كالنصارىٰ، أو بوحدة الوجود كالصوفية، أو بدعاء الأموات والأولياء والاستغاثة بهم كما عليه الرافضة وغلاة الصوفية القبورية،

مجتهد معذور، هذا ما أدَّاه إليه اجتهاده ما لم يكن معانِدًا.

طبعًا ردَّ العلماء علىٰ بدعة الجاحظ، ممن ردَّ عليه الحقيقة: الإمام ابن قدامة في «روضة الناظر»؛ حيث قال: «أمَّا الذي ذهب إليه الجاحظ فباطلٌ يقينًا، وكُفرٌ بالله، وردٌّ عليه وعلىٰ رسوله ﷺ، فإنَّا نعلم طبعًا أن النبي ﷺ أمر اليهود والنصارىٰ بالإسلام واتباعه، وذمَّهم علىٰ إصرارهم، ونُقاتل جميعهم ونقتل البالغ منهم».

ثم قال ابن قدامة: «ونعلم أن المعانِد العارف مما يقل، إنما الأكثر مقلدةٌ اعتقدوا دين آبائهم تقليدًا، ولم يعرفوا معجزة الرسول وصدقه، والآيات الدالة في القرآن علىٰ هذا كثيرة، كقوله: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [المجادلة: ١٨]، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝٣٠﴾ [الأعراف: ٣٠]» هذا كلام ابن قدامة في رد بدعة الجاحظ.

أيضًا الإمام ابن جرير الطبري - في تفسيره لقوله

تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف: ٣٠]- ردَّ علىٰ بدعة الجاحظ المعتزلي؛ حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إنَّ الفريق الذي حقَّ عليهم الضلالة إنما ضلوا عن سبيل الله وجاروا عن قصد المحجة، باتخاذهم الشياطين نصراء من دون الله وظُهراء؛ جهلًا منهم بخطأ ما هم عليه من ذلك» - ما عَذَرهم الله عَزَّوَجَلَّ- قال: «بل فَعَلُوا ذلك وهم يظنون أنهم علىٰ هدًىٰ وحق، وأنَّ الصواب ما أتوه وركبوه».

ثم قال ابن جرير - شيخ المفسرين -: «وهذا مِن أبْيَن الدلالة علىٰ خطأ قول مَن زعم أنَّ الله لا يُعذِّب أحدًا علىٰ معصيةٍ رَكَبَها أو ضلالةٍ اعتقدها إلا أنْ يأتيها بعد علمٍ منه بصواب وجهها فيَركَبها عنادًا منه لربه فيها».

يعني: المعانِد، باطل مَن حَصَر الكفر في العناد، يعني: لا بد أن يقال لهذا المشرك: تعال، هذا شِرك، ويفهَم

وتُزال عنه الحُجة، يعني ما يَكْفُر إلا المعاند الذي يقول: اتركوني أكفر. هذا ما يقول به أحدٌ من أئمة أهل السُّنة؛ هذا يقوله غلاة المرجئة المتكلمين كما سنُبيِّنه الآن.

إذًا: هذا من الردود علىٰ بدعة الجاحظ المعتزلي.

➢ **أيضًا ممن ردَّ علىٰ بدعة الجاحظ المعتزلي بحصْر الشِّرك والكُفر في العناد:** الشيخ الإمام العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين، من أئمة الدعوة النجدية السلفية، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، له كلام نفيس في مجموعة فتاواه ورسائله في ردِّ بدعة الجاحظ.

⬅ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ لَمَّا أورد بدعة الجاحظ وأورد كلام العلماء في ردِّها، علَّق علىٰ كلام ابن قدامة، لَمَّا أورد كلام ابن قدامة قال الشيخ عبد الله أبا بطين (ص٦٥٣) من مجموع فتاوىٰ ورسائل الشيخ عبد الله أبا بطين: «فبيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّا لو لم نُكفِّر إلا العارف المعانِد لَزِمنا أن لا نُكفِّر اليهود والنصارىٰ».

وهذا من أبطل الباطل، إنه يجيك الآن جُهَّال من اليهود والنصارىٰ، علىٰ كلام هؤلاء ما يَكْفرون؛ لأنهم غير معانِدين، ما يعْلَم، يقول لك: ما سمع بمحمد ﷺ، أو بلغته دعوة الإسلام مشوهة، فذكر الشيخ إيرادًا مهمًا علىٰ قول هؤلاء الجهمية، وهو: عدم تكفير اليهود والنصارىٰ، وهذا من أبطل الباطل.

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجموعة رسائله (ص٦٧٩):

«والصواب من ذلك كله: أنَّ الله أرسل رسله مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس علىٰ الله حُجةٌ بعد الرسل، وأعظم ما أرسلوا به ودعوا إليه: عبادة الله وحده لا شريك له، والنهي عن الشِّرك الذي هو عبادة غيره».

ثم قال الشيخ أبابطين (ص٦٧٩) من مجموعة رسائله: «فإنْ كان مرتكب الشِّرك الأكبر معذورًا لجهله، فمَن هو الذي لا يُعذَر؟!»، ثم قال: «ولازم هذه الدعوىٰ أنه ليس لله حُجة علىٰ أحد إلا المعانِد، مع أن صاحب هذه

الدعوىٰ لا يمكنه طرد أصله، بل لا بد أن يتناقض، فإنه لا يُمْكِنه أن يتوقف في تكفير مَن شكَّ في رسالة محمد ﷺ، أو شكَّ في البعث، أو غير ذلك من أصول الدين».

يعني: هؤلاء الذين يقولون: إنَّ عُبَّاد القبور مسلمين، نقول لهم: طيب ماذا تقول فيمن شكَّ في رسالة نبينا محمد في البعث؟ الأمر واحد، ماذا تقول فيه؟

المقدم: ما فيه خلاف.

د. أيمن العنقري: نعم، لا شك في كُفر الجميع والحُكم عليهم بأعيانهم، وهذه من دقائق الاستنباط من الشيخ عبد الله أبابطين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المسألة التي بعدها وهي مهمة:

➢ أول مَن ابتدع بدعة التلازم بين التكفير وقيام الحُجة مطلقًا، ودعوىٰ أن المعيَّن الواقع في المكفرات؛ كالاستغاثة بالأولياء ودعائهم من دون الله لا يُكفَّر حتىٰ تُقام عليه الحُجة ويفهم وتزول عنه الشُّبهة: هو القبوري النقشبندي داود بن جرجيس العراقي، مِن ألد أعداء الدعوة السلفية، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وقد تصدَّىٰ أئمة الدعوة رحمهم الله لقمع هذا القبوري وتفنيد شُبهاته؛ الشيخ عبد الرحمن بن حسن وابنه عبد اللطيف، الشيخ عبد الله أبابطين، وغيرهم، وألَّفوا الردود المتينة علىٰ هذا المبطل، حتىٰ ظهر في زماننا الآن مَن ينصر بدعة داود بن جرجيس باسم السلفية كذبًا وزورًا، والسلفية منهم براء، بل هم والله سفهيون يدافعون عمن يُخالف ملة إبراهيم، ويُسمُّونه مسلمًا.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ

نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] يعني: تبرؤوا من المشركين ومن معبوداتهم، الآية صريحة جدًّا إنه كيف يقال: إنَّ هذا الذي يسمونه جاهل -وهو ليس بجاهل، هو مُعرِض مفرط- أنه لا يُسمىٰ مشركًا؟!

فردَّ عليه علماء الدعوة وبيَّنوا ضلاله في هذا، وبيّنوا أنّه علىٰ مقتضىٰ قول داود بن جرجيس يلزم منه الكفر والردة؛ لعدم تكفير جميع أصناف الكفار والملاحدة، والشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بـ«منهاج التأسيس» يقول: «قدَّمنا أن طَرْد قول العراقي واستدلاله يفيد عدم التأثيم والتكفير في الخطأ في جميع أصول الدين».

يعني: طرد الكلام هذا، أنت لَمَّا تقول: هذا جاهل، المشرك تسميه مسلم تقول: جاهل، اطرد هذا في كل

مسائل الاعتقاد، لو جاءنا واحد -نعوذ بالله- قال: أنا أقول: «إنَّ الله لا يعلم بالأشياء حتىٰ تقع» -نعوذ بالله- يقوله غلاة القدرية الأوائل، تقول عنه: هذا جاهل. طيب ماذا بقي من الإسلام؟

فالشيخ عبد اللطيف رَحِمَهُ اللَّهُ في «منهاج التأسيس» (ص١٨١) من دقته قال: «طَرْد قوله: أنَّ كل مَن ارتكب المكفرات الصريحة عند هذا النقشبندي القبوري أنه لا يخرج من دائرة الإسلام»، قال هنا: «وقد قدَّمنا أنَّ طَرْد قول العراقي واستدلاله يفيد عدم التأثيم والتكفير في الخطأ في جميع أصول الدين؛ كالإيمان بوجود الله وربوبيته وإلهيته وقدره وقضائه، والمنع من التأثيم والتكفير في هذا كله ردٌّ علىٰ مَن كفَّر معطلة الذات، ومعطلة الربوبية، ومعطلة الأسماء والصفات والقائلين بأنه لا يعلم الكائنات قبل كونها كغلاة القدرية».

قال الشيخ عبد اللطيف: «فإنْ التزم العراقيُّ هذا فهو

أَكْفَر وأضل من اليهود والنصارىٰ، وإنْ زَعَم أنَّ ثَمَّ فارقًا بين هذا» -بين هذه المسائل- «وبين مسألة النزاع» -ما هي مسألة النزاع؟- «دعاء الأموات الغائبين فيما لا يقدر عليه إلا ربُّ العالمين».

قال: «وإنْ زَعَم أنَّ ثَمَّ فارقًا بين هذا وبين مسألة النزاع التي هي دعاء الأموات الغائبين فيما لا يقدر عليه إلا ربُّ العالمين فليوجدنا هذا الفرق، وليوجدنا دليلًا علىٰ صحته، فإن لم يفعل -ولن يفعل- بطل تقريره وتأصيله».

كلام نفيس متين.

المقدم: كلام عجيب والله يا شيخ أيمن، سبحان الله!

د. أيمن العنقري: ومتين جدًّا.

طرد كلام هؤلاء، خلاص كل مَن أنكر أصول الدين وأصول الاعتقاد، قال بوحدة الوجود، أنكر وجود الله، فهو جاهل.

ولهذا نُعيد ونؤكد أنَّ أهل السُّنة يسمُّون المشرك مشركًا في أحكام الدنيا، ويفرِّقون بين كُفر الظاهر والباطن، وأنَّ إقامة الحُجة إنما هي لأجل العقوبة؛ إمَّا لإقامة الحد والاستتابة في أمر الدنيا من قِبل القاضي، أو عند الله في الآخرة فقط، وإلَّا هو يسمىٰ مشرك في أحكام الدنيا.

✍ المسألة التي بعدها وهي مهمة جدًّا:

➢ أول بدعة ظهرت فيما يتعلق بنواقض الإسلام:

هي بدعة غلاة المرجئة المتكلمين الذين نصروا قول الجهم بن صفوان في الإيمان.

⬇ وحاصل هذه البدعة الخبيثة:

أنَّ الوقوع في الشِّرك الأكبر والمكفرات الصريحة، كعبادة الأصنام والصالحين، وسب الله ورسوله، وإهانة المصحف، ونحوها من نواقض الإسلام، لا تنقض أصل إسلام الواقع فيها، ما تنقض، ويُتصور وجود الإسلام

صحيحًا معها -نعوذ بالله من ذلك-.

لو فعل كل النواقض والمكفرات الصريحة هو مسلم عند غلاة المرجئة المتكلمين الذين قرروا قول الجهم بن صفوان، الجهم بن صفوان طبعًا مِن غلاة المرجئة.

✍ شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ له كلام نفيس في رد هذا الكلام في كتابه العظيم الرائع «الإيمان الكبير»، أقرؤه عليك.

⬅ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإيمان الكبير» في صفحة ٤٠٥، ٤٠٦: «ومن هنا يظهر خطأ قول جهم بن صفوان ومَن اتبعه، حيث ظنوا أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعِلْمِه، لم يجعلوا أعمال القلب من الإيمان، وظنوا أنه قد يكون الإنسان مؤمنًا كامل الإيمان بقلبه، وهو مع هذا يسب الله ورسوله، ويُعادي الله ورسوله، ويقتل الأنبياء، ويهدم المساجد، ويُهين المصاحف».

«قالوا» الآن رجع لكلام غلاة المرجئة المتكلمين،

الشيخ يقول: «قالوا: وهذه كلها معاصي لا تنافي الإيمان الذي في قلبه».

شوف الخطورة، الخطورة أين؟ أنهم جعلوا المكفرات الصريحة من الشرك الأكبر وسب الله ورسوله وإهانة المصحف، جعلوها معاصي، نفس ما يقول هؤلاء غلاة المرجئة المعاصرين، جعلوها بمثابة المعاصي.

المقدم: وهذه مشكلة كبيرة والله.

د. أيمن العنقري: أُكمل، يقول شيخ الإسلام: «قالوا: وهذه كلها معاصي لا تتنافي الإيمان الذي في قلبه».

الآن الشيخ بدأ يُناقشهم، قال شيخ الإسلام: «فإذا أُورد عليهم الكتاب والسُّنة والإجماع علىٰ أنَّ الواحد مِن هؤلاء» مَن هو؟ اللي ارتكب المكفرات الصريحة التي ذكرها قبل قليل: سب الله ورسوله وقتل الأنبياء وإهانة المصحف، يقول شيخ الإسلام: «فإذا أُورد عليهم الكتاب والسُّنة والإجماع

علىٰ أنَّ الواحد مِن هؤلاء كافرٌ في نفس الأمر معذَّبٌ في الآخرة» يعني: بيَّنا لهم الأدلة علىٰ كفره بعينه، «قالوا» يعني: غلاة المرجئة المتكلمين «هذا دليلٌ علىٰ انتفاء التصديق والعلم من قلبه» يعني: ليس كُفره لذات الفِعل، إنما لخلو قلبه من التصديق، هذه بدعة أخرىٰ أيضًا.

نستفيد من هذا النقل الرائع من كلام شيخ الإسلام في «الإيمان الكبير» فوائد، منها:

✓ **أولًا**: أنَّ بدعة غلاة المرجئة أنَّ الوقوع في الشِّرك الأكبر والمكفرات الصريحة لا تنقض أصل الإسلام الواقع في الفتنة -نعوذ بالله- كما يقوله هؤلاء السفهيون الجهمية هؤلاء.

✓ **ثانيًا**: أنَّ غلاة المرجئة لَمَّا أُوردت عليهم نصوص الكتاب والسُّنة والإجماع علىٰ أن الواحد المعيَّن ممن وقع في المكفرات الصريحة، كسبِّ الله وإهانة المصحف، قالوا: إنما كفر لخلو قلبه من التصديق لا لذات الفعل المكفِّر؛ لأنهم

يُخرجون العمل عن اسم الإيمان.

المقدم: إخراج العمل عن مسمىٰ الإيمان.

د. أيمن العنقري: أي نعم.

✓ **الفائدة الثالثة** من فوائد شيخ الإسلام في هذا الكلام النفيس: أنَّ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ نقل الإجماع علىٰ كُفر الواحد المعيَّن في المكفرات الصريحة، وهؤلاء يكذِبون علىٰ الشيخ، يقولون: ما يُكفِّر المعيَّن. مع أن كلامه صريح في «الإيمان الكبير» في تكفير المعين.

قال: «فإذا أُورد عليهم» -غلاة المرجئة- «الكتاب والسُّنة والإجماع علىٰ أنَّ الواحد» -الواحد مَن هو؟ هو المعيَّن- «مِن هؤلاء كافرٌ في نفس الأمر» فهذا يدل علىٰ أنَّ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينقل الإجماع علىٰ كُفر الواحد المعيَّن في المكفرات الصريحة.

✓ **الفائدة الرابعة** والأخيرة: أنَّ شيخ الإسلام يُقرِّر أنَّ الذي يقول بإسلام الواقع في الشِّرك الأكبر قد قرَّر قول غلاة المرجئة المتكلمين الذين نصروا قول الجهم بن صفوان في الإيمان؛ حيث جوَّزوا وجود أصل الإسلام صحيحًا مع التلبُّس بالشِّرك والمكفرات الصريحة.

فهذا ما يحضرني في تقرير هذه المسألة، وهي مسألة (**حُكم تارك التوحيد**) بإيجاز.

المقدم: جزاك الله خير يا شيخ أيمن، وبارك الله في عِلمك وفي عُمرك، نسأل الله ﷻ أن يرزقنا وإيَّاكم الإخلاص في القول والعمل.

وصية أخيرة يا شيخ أيمن -تكون أقل من دقيقة إن شاء الله- بالنسبة للشباب السلفيين، الشباب الذين يعتقدون العقيدة الصحيحة في السودان، الآن بعض الناس يرمونهم بأنهم خوارج، وبأنهم حدَّادية، وبأنهم يُكفِّرون الناس، فبماذا توصيهم هؤلاء الشباب؟

د. أيمن العنقري: أُوصيهم بالثبات علىٰ السُّنة والتوحيد، وأن لا يهتموا بمثل هذه الألقاب والترَّهات؛ هذه طريقة أهل البدع، فعلوها مع أئمة أهل السُّنة لَمَّا سمَّوهم حشوية، وسمَّوهم مجسِّمة مُشبِّهة، هؤلاء الذين يسمونهم هم غلاة المرجئة الجهمية المعاصرين، هؤلاء غلاة المرجئة، وهم كما نقلنا كلام الأئمة في بيان ضلالهم.

فوصيتي:

الثبات علىٰ التوحيد والسُّنة، والاستزادة والقراءة في كلام أئمة أهل السُّنة، وقبل ذلك: التأمُل في الآيات القرآنية ونصوص السُّنة في هذه المسائل العظيمة أصل الدين، أصل الدين بيَّنه الله جل وعلا في كتابه بيانًا شافيًا وافيًا وبيَّنه النبي ﷺ في سُنته، التأمُل والتدبر في نصوص القرآن والسُّنة في هذا الباب العظيم وهو (**حكم تارك التوحيد**)، لماذا؟ لأن هذا الباب مرتبط ارتباط وثيق بأصل الدين (**الكفر بالطاغوت**)، لا يمكن أن يتحقق دخول الإنسان في الإسلام إلا بالكفر بالطاغوت: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦] شرْط كما ذكر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «لا يجتمع (لا إله إلا الله) مع عدم الكفر بالطاغوت، لا يجتمعان كلاهما».

أيضًا أُوصيهم بعدم الالتفات لكلام هؤلاء المرجئة

الجهمية، وإنما الاستزادة من طلب العلم وقراءة كلام العلماء، كالإمام أحمد وغيره من أئمة السُّنة المتقدمين، شيخ الإسلام ابن تيمية، ابن القيم، وابن رجب.

وأيضًا أن يحرصوا علىٰ قراءة كلام علمائنا المعاصرين، كسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، مثل الشيخ عبد الله بن حميد، مثل الشيخ عبد العزيز بن باز، مثل الشيخ محمد بن عثيمين، مثل الشيخ صالح الفوزان، وغيرهم من الذين هم علىٰ اعتقاد أهل السُّنة والجماعة في أبواب الاعتقاد، ومنها هذا الباب أو هذه المسألة العظيمة وهي (**حُكم تارك التوحيد**).

المقدم: جزاك الله خيرًا يا شيخ أيمن، وبارك الله فيك، وجميع الشباب إن شاء الله تعالىٰ يشكرونك، وسيكون بيننا وبينك التواصل إن شاء الله تعالىٰ كل فترة، نُقدم أسئلة وأنت تُجيبنا إن شاء الله، فجزاك الله خيرًا وبارك الله فيك يا شيخ أيمن.

د. أيمن العنقري: حفظك الله أخي الكريم.

المقدم: **السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.**

د. أيمن العنقري: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

مَنْشَأُ بِدْعَةِ مَنْ يُسَمِّي (الْمُشْرِكَ) مُسْلِمًا

إعداد

د. أيمن بن سعود العنقري

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

بكلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض

✍ خلاصة موجزة لمسألة مهمة جدًّا وهي

(حكم تارك التوحيد، وبدعة وصفه بأنه مسلم جاهل ورفع وصف الشرك عنه)

والمراد بتارك التوحيد: (من يدعو الأنبياء والصالحين ويستغيث بهم في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، ويذبح وينذر لهم، أو ينادي الغائبين).

✍ أقول مستعينا بالله:

❶ **أولا:** من الخطأ الشنيع: الربط بين العذر بالجهل وبين نفي التكفير، فصارت تطرح عند كثير ممن لم يفهم المسألة علىٰ أنها قضية واحدة بحيث من عذر بالجهل فلا يكفر لا في أحكام الدنيا والآخرة، وفي أي مسألة كانت.

❷ **ثانيا:** الحكم علىٰ معين بالكفر أو الإسلام مناطه: أصل الإسلام وجودًا وعدمًا، فمن كان عنده أصل الإسلام فهو مسلم، ويشمل ذلك:

كل من نطق بالشهادتين وأظهر الإسلام ولم يظهر منه ما يضاد ذلك من نواقض الإسلام الصريحة؛ إذ أحكام الإسلام مدارها علىٰ الظاهر؛ إذ لا يجتمع أصل الإسلام وهو (التوحيد) مع ضده وهو: الشرك.

❸ **ثالثا:** جذور بدعة القول بإطلاق العذر بالجهل وعدم قيام الحجة علىٰ المعين إلا بتحقق فهمه للحق وزوال الشبهة المانعة من الفهم وعناده:

أول من قال بها الجاحظ وعبيد الله العنبري من المعتزلة.

وحاصل تلك البدعة: إطلاق العذر بالجهل، والزعم بأن الحجة لا تقوم إلا علىٰ من عاند الحق وقصد الضلال، في كل أحد تلبس بالمكفرات المنافية لدين الإسلام، ممن ينتسب للإسلام أو يدين بغيره، ورتبا علىٰ ذلك: أن وجود الجهل والاجتهاد والشبهة مانع من قيام الحجة، وأن غير المعاند لا يؤثم وقد يؤجر يوم القيامة.

فهو يرىٰ العذر مطلقا لكل أحد، ومن كان مجتهدا في أي ضلال كان؛ كالنصارىٰ القائلين بالتثليث، أو غلاة الصوفية القائلين بوحدة الوجود، أو عباد الأصنام والقبور.

✸ كما زعما إطلاق ذلك في كل مسائل الدين، دون تفريق بين أصول الإسلام التي هي المسائل الظاهرة وبين فروعه التي هي المسائل المشتبهة والخفية. إلا أن الجاحظ قال بكفر أولئك في أحكام الدنيا.

قال ابن قدامة في [روضة الناظر] (٢/ ٧١٢-٧١٣): (وزعم الجاحظ: أن مخالف ملة الإسلام إذا نظر فعجز عن درك الحق فهو معذور غير آثم).

وقال عبيد الله بن الحسن العنبري: (كل مجتهد مصيب في الأصول والفروع جميعا)، قال ابن قدامة معلقا: (وهذه كلها أقاويل باطلة).

ثم قال ابن قدامة: (أما الذي ذهب إليه الجاحظ:

فباطل يقينا، وكفر بالله ورد عليه وعلىٰ رسوله ﷺ؛ فإنا نعلم قطعا أن النبي ﷺ أمر اليهود والنصارىٰ بالإسلام واتباعه، وذمهم علىٰ إصرارهم، ويقاتل جميعهم، ويقتل البالغ منهم).

✍ **ونعلم:** أن المعاند العارف مما يقل، وإنما الأكثر مقلدة اعتقدوا دين آبائهم تقليدا، ولم يعرفوا معجزة الرسول وصدقه، والآيات الدالة في القرآن علىٰ هذا كثير:

﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف:٣٠]، ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف:١٠٤].

⬅ وقول العنبري: (كل مجتهد مصيب):

✱ **إن أراد:** أنهم لم يؤمروا إلا بما هم عليه: فهو كقول الجاحظ.

✱ **وإن أراد:** أن ما اعتقده فهو علىٰ ما اعتقده: فمحال؛ إذ كيف يكون قدم العالم وحدثه حقا؟! وتصديق الرسول

وتكذيبه؟! ووجود الشيء ونفيه؟! وهذه أمور ذاتية لا تتبع الاعتقاد، بل الاعتقاد يتبعها، فهذا شر من مذهب الجاحظ، بل شر من مذهب السوفسطائية: فإنهم نفوا حقائق الأشياء، وهذا أثبتها، وجعلها تابعة للمعتقدات.

✱ **وقد قيل:** إنما أراد اختلاف المسلمين، وهو باطل كيفما كان؛ إذ كيف يكون القرآن قديما ومخلوقا؟! والرؤية محالا ممكنا؟! وهذا محال). انتهىٰ كلام ابن قدامة.

◄ وقال البلخي المعتزلي في كتابه [الفرق] وهو من أدق من ينقل مقالات أصحابه المعتزلة (ص١٦٧) عن الجاحظ: (والكفار عنده بين معاند وعارف قد استغرق حبه لمذهبه وشغفه وإلفه وعصبيته).

◄ وقال أيضا في المصدر السابق (ص٣٨١) في ذكر قول عبيد الله العنبري المعتزلي: (إن سبيل جميع الاختلاف سبيل واحد، وليس علىٰ الإنسان بما أداه إليه عقله وأوجبه نظره، وكل إنسان إنما صوابه في مبلغ رأيه ومنتهىٰ فطنته...وفي جميع

الاختلاف الذي بين أهل الملة، كالتوحيد والعدل والوعيد، وكل ما كان الاختلاف فيه من قبل تأويل كتاب أوتأويل سنة...).

قال ابن جرير الطبري في تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (١٥٩/ ٨) رادًّا علىٰ بدعة الجاحظ: (يقول تعالىٰ ذكره: إن الفريق الذي حق عليهم الضلالة إنما ضلوا عن سبيل الله وجاروا عن قصد المحجة، باتخاذهم الشياطين نصراء من دون الله وظهراء، جهلا منهم بخطأ ما هم عليه من ذلك؛ بل فعلوا ذلك وهم يظنون أنهم علىٰ هدىٰ وحق، وأن الصواب ما أتوه وركبوا. وهذا من أبين الدلالة علىٰ خطأ قول من زعم أن الله لا يعذب أحدا علىٰ معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها، إلا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها، فيركبها عنادا منه لربه فيها؛ لأن ذلك لوكان كذلك لم يكن بين فريق الضلالة الذي ضل وهو يحسب أنه هاد وفريق الهدىٰ فرق، وقد فرق الله بين أسمائهما وأحكامهما في هذه الآية).

4 **رابعا:** العذر بالجهل مناطه: الجهل بمسائل الدين الذي لا يستطيع المعين رفعه عن نفسه؛ كحال أهل الفترة الذين لا يستطيعون الانفكاك عما هم فيه من الضلال؛ لعدم بلوغ الرسالة إليهم؛ قال تَعَالَىٰ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١﴾ [البينة:١]، فهؤلاء كفار في أحكام الدنيا وأمرهم إلىٰ الله في الآخرة، ويلحق بهم: من وقع في المكفرات الصريحة المنافية لأصل الإسلام؛ كمن يدعو الأنبياء والأولياء ويستغيث بهم فهذا مشرك.

◆ **والصنف الثاني ممن يعذر:** من ليس لديه القدرة لفقد آلة الفهم؛ كالأصم والهرم والأحمق، ورجل مات في فترة، وقد دل علىٰ هذا حديث الأسود بن سريع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مسند الإمام أحمد ولفظه: «**أربعة يدلون علىٰ الله بحجتهم يوم القيامة: وذكر هؤلاء الأربعة**».

5 **خامسا:** بدعة داعية الضلال القبوري النقشبندي/

داود بن جرجيس العراقي: حيث جمع بين بدعة الجاحظ في إطلاق العذر بالجهل لغير المعاند، وبدعة التوقف المطلق في تكفير المعين ممن ارتكب ناقضا من نواقض الإسلام (كالقول بوحدة الوجود، وعبادة الأصنام والقبور) وغيرها، حيث زعم التلازم بين العذر بالجهل وبين نفي التكفير مطلقا في أحكام الدنيا والآخرة وقد ذكر هذا في كتابه [صلح الإخوان]. وتسربت هذه البدعة لغلاة المرجئة المعاصرين، وقد تصدىٰ أئمة الدعوة لقمع هذا القبور ي وتفنيد أباطيله وشبهاته؛ كالشيخ عبدالرحمن بن حسن وابنه عبداللطيف والشيخ عبدالله أبابطين وغيرهم.

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [منهاج التأسيس] (ص١٥): (وعلىٰ زعم هذا العراقي أيضا لا يكون شركا أصغر ولا محرما علىٰ المجتهد، بل هو مأجور في ذلك (يعني: عابد القبر)، وأن الشرك والكفر والفسوق لا

يتحقق مسماها ولا يكون إثما إلا إذا عوقب صاحبه بالنار، فإن منع مانع من العقاب انتفىٰ الاسم والحكم.

فسبحان الله !والله أكبر، ما أقل حياء الرجل وما أغلظ فهمه...وهب أنه لا يعاقب، فما الذي منع تحريمه، وقلب مسماه، وأحاله أن يكون شركا، وكلام الشيخ (يعني ابن تيمية) صريح في أن المراد بعباراته ما يقع من ذنوب أهل الإسلام ممن دون الشرك وعبادة الصالحين؟!).

وقال أيضا في المصدر السابق (ص٥٢): (فمن يثبت لك إيمان عباد القبور؟ بأي كتاب أم بأية سنة تحكم علىٰ أنهم من المؤمنين؟!).

وقال أيضا في (ص٢٢٤): (الجاهل والمتأول لا يعذر إلا مع العجز...، وقد تقدم أن عامة الكفار والمشركين من عهد نوح إلىٰ وقتنا هذا جهلوا وتأولوا، وأهل الحلول والاتحاد كابن عربي وابن الفارض والتلمساني وغيرهم من الصوفية تأولوا،

وعباد القبور والمشركين الذين هم محل النزاع تأولوا، وقالوا: لا يدخل علىٰ الملك العظيم إلا بواسطة. وقالوا: إذا تعلقت روح الزائر بروح المزور فاض عليها مما ينزل علىٰ روح المزور، كما ينعكس شعاع الشمس علىٰ المرايا والصور والنصارىٰ تأولت فيما أتته من الإفك العظيم والشرك الوخيم، فقاتل الله العراقي ما أعظم جهله، وما أشد عداوته لتوحيد الله).

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقتضىٰ قول داود بن جرجيس القبوري فقال أيضا في المصدر السابق (ص١٨١): (وقد قدمنا أن طرد قول العراقي واستدلاله يفيد عدم التأثيم والتكفير في الخطأ في جميع أصول الدين، كالإيمان بوجود الله وربوبيته وإلهيته وقدره وقضائه، والإيمان بصفات كماله الذاتية والفعلية، ومسألة علمه بالحوادث والكائنات قبل كونها، والمنع من التكفير والتأثيم بالخطأ في هذا كله رد علىٰ من كفر معطلة الذات، ومعطلة الربوبية، ومعطلة الأسماء والصفات، ومعطلة إفراده تعالىٰ بالإلهية

والقائلين بأنه لا يعلم الكائنات قبل كونها كغلاة القدرية، ومن قال بإسناد الحوادث إلىٰ الكواكب العلوية...

فإن التزم العراقي هذا كله فهو أكفر وأضل من اليهود والنصارىٰ، وإن زعم أن ثم فارقا بين هذا وبين مسألة النزاع، التي هي دعاء الأموات والغائبين فيما لا يقدر عليه إلا رب العالمين فليوجدنا هذا الفرق، وليوجدنا دليلا علىٰ صحته. فإن لم يفعل - ولن يفعل - بطل تقريره وتأصيله.. وعلم أهل العلم والإيمان أنه مدلس مشبه، ولا ممن يعرف الإسلام والمسلمين، ويفرق بين الموحدين والمشركين).

6 **سادسا:** من وقع في الشرك الأكبر؛ كدعاء الأنبياء والأولياء والاستغاثة بهم فهو مشرك بعينه، ويسمىٰ بذلك كما سمته النصوص.

قال تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون:١١٧] فسمَّاه كافرًا.

وفي صحيح مسلم: قال رسول الله ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم دمه وماله وحسابه علىٰ الله**».

وجه الدلالة: أن من وقع في الشرك كدعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله لم يحقق الكفر بما يعبد من دون الله (الكفر بالطاغوت).

والمشرك علىٰ نوعين:

◆**الأول:** من وقع في الشرك ولم تبلغه الحجة فيسمىٰ مشركا في الظاهر من حاله، وتترتب عليه أحكام المشرك في الدنيا (لا يُصلىٰ خلفه إن كان إماما، إذا مات لا يصلىٰ عليه، ولا يترحم عليه، ولا يرثه أقاربه، ولا يضحىٰ عنه...)، وأمره إلىٰ الله في الآخرة كحال أهل الفترة فإنه يمتحن.

◆**الثاني:** من بلغته الحجة وأصر وعاند فهو كافر ظاهرًا وباطنًا، الكفر المستوجب للعقوبة في الدنيا (إقامة

الحد). والعذاب في الآخرة كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ۝١٥﴾ [الإسراء:١٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك (ص٧٠): (ومنهم من يطلب من الميت ما يطلب من الله، فيقول: اغفر لي، وارزقني، وانصرني، ونحو ذلك كما يقول المصلي في صلاته لله تَعَالَىٰ، إلىٰ أمثال هذه الأمور التي لا يشك من عرف دين الإسلام أنها مخالفة لدين المرسلين أجمعين، فإنها من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، بل من الشرك الذي قاتل عليه الرسول ﷺ المشركين، وأن أصحابها إن كانوا معذورين بالجهل، وأن الحجة لم تقم عليهم، كما يعذر من لم يبعث إليه رسول، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ۝١٥﴾ وإلا كانوا مستحقين من عقوبة الدنيا والآخرة ما يستحقه أمثالهم من المشركين (هنا سماهم مشركين وذكر أنهم

كحال أهل الفترة وهم من لم يبعث إليه رسول، وأن قيام الحجة لاستحقاق العقوبة في الدنيا والآخرة).

ثم قال ابن تيمية متمما كلامه: (والذين يؤمنون بالرسول، إذا تبين لأحدهم حقيقة ما جاء به الرسول، وتبين أنه مشرك، فإنه يتوب إلىٰ الله، ويجدد إسلامه، فيسلم إسلاما يتوب فيه من هذا الشرك).

فهذه خلاصة موجزة لهذه المسألة.

كتبه/ د. أيمن بن سعود العنقري